الحلقة (٨)

أهمية البحث:

البحوث لها أهمية في حياة البشر، لذلك اهتمت الحضارات الإنسانية واعتنت بها لما لها من ثمرة في تطوير الأمم، وتعاظم إنتاجها، وتحقيق هيبتها، وسلامة سيرها، وصحة أساليبها، فكل هذه الأمور للبحث العلمي جانب كبير في تحقيقه، لذا تتفاوت العناية بالبحث العلمي لتفاوت وضع الأمم في الحضارة، فنرى أن أشد الأمم في الحضارة وأقواها عمرانا وتقدما نرى أنها ترصد للبحث العلمي الكثير، ونرى أن الأمم الضعيفة الخاملة لا تهتم به ولا ترفع به رأسا، وإن اهتمت به جعلته من الهامشيات، فالاهتمام بالبحث العلمي مؤشر كبير على مكانة الأمة وعلى استثمارها لطاقتها، وعلى قدرتها على تصحيح تجاربها وأسلوب حياتها والنهوض بمجتمعها، وقدرتها على الاستمرار والبقاء، لأن البحث العلمي يفتّح لها مجالات لا حدود لها من القوة ومن صحة السير، ومن سلامة الأساليب ودقتها بقدر ما تهتم به وتكتشف به.

ولذا لجأت بعض الأمم ليس فقط إلى البحث العلمي مجردا عمن يقوم به وهو الباحث، بل أصبحت الشركات تتهافت على المخترعين والمبدعين، وتهيئ لهم المجال وتبذل لهم البذل العالي ليصلوا إلى الحلول والمبتكرات الجديدة التي تفتح لتلك الشركات أبوابا من الاستثمار عالي القيمة، ولأن نتائج هذه العقول تتحول إلى عمل إلى سلعة تباع وتشترى، وبالتالي تهتم الشركات بهذا الجانب اهتماما كبيرا، وتسعى لتحصيله، وتتنافس الشركات العالمية فيه تنافسا كبيرا، **هذا من الناحية المعاشية أو المادية.**

وكذلك من الناحية الأخروية فمن المهم الاهتمام بالتوجيهات الدينية والفهم السليم لها، والحرص على الاستجابة لكل نازلة جديدة، والسعي للتوصل إلى حكم الله عز وجل فيه، لتسديد الحياة فيها وتوجيهها وضبطها ضبطا يتوافق مع مرضاة الله سبحانه وتعالى، ولا يمكن أن يتحقق هذا الفهم الرشيد إلا ببذل المزيد والعناية بالبحوث واستثمارها استثمارا جيدا في هذا المجال.

كذلك إذا لا حظنا في **المجال الإنساني،** فكما أن البحث مهم في المجال التطبيقي والمجال المعاشي،كذلك في مجال حماية الإنسان وتوجيهه وضبط سلوكه، وهذا ما تقوم به العلوم الإنسانية كعلوم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة والإدارة ونحوها، هذه العلوم مهمة بقدر ما تكون الأمور خاضعة لمعايير العلم وللدراسة والبحث المتقدم والدقيق والصارم والمنهجي، بقدر ما تكون ثمرتها عالية الفائدة ونافعة لهذا المجتمع الذي يُعنى بها، ومن هذا الباب يتضح أهمية البحث العلمي بعامة ومسارعة المجتمعات الناهضة في قديم الزمان وحاضره للعناية بالبحث العلمي ورصد الكثير من المبالغ من أجله، والعناية بالمبدعين والمتفوقين، وتوظيف أفكارهم التوظيف السليم المنظم

المبرمج.

ميادين البحث:

ميادينه متنوعة، ويمكن النظر إليه من ناحية مادة البحث باعتباره لا يعدو عدة أمور:

إما **اختراع معدوم**، أي اكتشاف جديد لم يكن موجودا في حياة البشر، فسمي اختراع ويحصل له براءة اختراع، فتخرج نتائجه في ناحية عملية مفيدة للحياة، **فاختراع معدوم** أي اكتشاف ما لم يكن عُمِل وأُنْتج.

أو جمع متفرق قد يسعى الباحث لكتابة بحث عن موضوع معين، هذا الموضوع اعتنى به العلماء لكن ضمن موضوعاتهم بشكل متفرق وليس بشكل متجمع في كتاب واحد يحويه أو بحث واحد يحويه، مثلاً موضوع صلاة المسافر، تأتي في كتب الفقه، وقد يتصل بها بأحكام أخرى، لكن كون الإنسان يخصص لها كتابا معينا فيجمع ما قاله العلماء في المذاهب المختلفة ويحقق الأدلة ويتكلم فيها ويناقشها ويرجح ويصل إلى موسوعة أو إلى كتاب بحث متكامل في هذا الجانب.

أو ترتيب مختلط فقد يكون الشيء موجودا ولكن بطريقة غير مرتبة وغير منظمة، فيعيد ترتيبه ونسقه بطريقة تيّسر الوصول إليه، منها بعض الكتب أشبه بكتب فهرسة لكتب أخرى، مثلاً كتب الأطراف في الحديث فهرست مجموعة من الكتب في كتاب واحد يوصل إلى ما في هذه النصوص، مثل كتاب كنز العمال، جمع من كتب متعددة هذا الكتاب، وحكم على الأحاديث الموجودة فيه، فهو موسوعة في علم الحديث رتبه ترتيبا معينا، وأيضا المسانيد رتبت الأحاديث حسب الأصحاب أو حسب الرواة، أو بحسب الموضوعات.

أو تعيين مبهم قد يبحث باحث لاكتشاف أو تحقيق الواقعة التاريخية التي فيها نوع من الإبهام، أو التحقيق عن شخصية معينة فيها نوع من الإبهام، أو حدث معين أو غير ذلك.

أو تبين خطأ قد يكون هناك خطأ اشتهر عند الناس فيأتي الباحث ليحقق ما مدى صحة هذه المعلومة، فافترض أنها خاطئة وابتدأ بالبحث والتدقيق والنظر حتى وصل إلى تصحيح الخطأ.

والبعض قد يرى أن هذه هي أصول أو أنواع البحث باعتبار موضوعه الذي يعنى به الباحث وإن تعددت وتنوعت البحوث، بحيث يمكن لهذا التنوع المتعدد أن يعيده إلى هذه الأنواع المحددة، هكذا ننظر للبحث من ناحية موضوعه.

فقد ننظر للبحث من ناحية أخرى غير الموضوع، كأن ننظر للبحث من زاوية المنهج، أو من زاوية الاختصاص، نقول بحث تاريخي، بحث جغرافي، وقد ننظر إليه من ناحية المرحلة التي كتب فيها فنقول بحث دكتوراة، بحث ماجستير، بحث مكمل، فقد ينظر إلى البحوث من عدة زوايا وبالتالي يتضح معناها من الوجه التي قسمناه منه، فلا يمكن أن نقول أنواع البحوث هي هذه الأنواع التي ذكرناها باعتبار الموضوع إلا إذا قيدناها باعتبار الموضوع، ولكن لو قلنا أنواع البحوث فلابد أن

ننظر إلى البحوث من اعتبارات متعددة، من ناحية الاختصاص، ومن ناحية الموضوع، ومن ناحية الزمن، ومن ناحية المرحلة التي كتب من أجلها، وهكذا نرى وجوها متعددة يمكن أن نقسم على أساسها البحوث.

تعريف البحث: لا يوجد تعريف واحد للبحث، لأن هناك اختلاف في مجالات البحوث، وكل مجال من المجالات نرى اختلاف في مناهجه، فمثلاً ما يطبق من مناهج في العلوم الإنسانية تختلف فيما يطبق في العلوم الشرعية واللغوية، وما يطبق في العلوم البحتة يختلف في العلوم الاجتماعية، وما يطبق في مجال الفلك والرياضيات تختلف عنها في المناهج الأخرى، وبالتالي الباحثون قد يختلفون في تعريف البحث على أنحاء متعددة ومتنوعة.

فمثلاً مما عرف البحث أنه: **العمل الذي يتم انجازه لحل مشكلة قائمة ذات حقيقة مادية،** هنا نُظِر إلى المشكلة ونوع المشكلة، وهنا نخرج الحقيقة الغيبية، فهذا التعريف لا يصدق على كل البحوث، أيضا العمل الذي يتم إنجازه لحل مشكلة، فالمشكلة ذات الحقيقة المادية ليست محصورة في المجال المعرفي، فقد يعمل إنسان على حل مشكلة قائمة مادية في مجال عمله، فمثلاً: اختلاف بين الموظفين، فهو يعمل على حل هذه المشكلة التي لها حقيقة مادية، فهذا يصدق على البحث وغيره فلا يكون تعريفا دقيقا.

تعريف آخر: **هو الفحص والتقصي المنظم لمادة موضوع ما من أجل إضافة المعلومات الناتجة إلى المعرفة الإنسانية والمعرفة الشخصية،** لو أردنا أن ننتقد هذا، نقول الفحص والتقصي قد يكون نظريا، أنا أريد أن أبحث عن حل لهذه المشكلة لكني لا أبحثها بحثا عمليا أكتبها وأنفذها، وإنما أنا أنظر وأدرس الكثير من المصادر وأنظر فيها نظرا مدققا للوصول إلى المعرفة، وقد أصل إليها في رأسي وأحفظها، ولكن ليس من الضروري أن أكون عملت وأنجزت بحثاً معيناً، فنجد هنا نوعا من النقص، بمعنى أنه يشمل وقد يدخل فيه البحث وغيره.

تعريف آخر: **محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفهمها وتحقيقها بتقصٍ دقيق ونقد عميق، ثم عرضها عرضا متكاملا بذكاء وإدراك،** ما قلته في ذاك أقوله في هذا، فنلاحظ أن هناك جانب معين يفتقده هذا التعريف، فمحاولة اكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتنميتها وفهمها قد يكون نظريا، وقد يكون عن طريق الأستاذ الذي يؤدي المحاضرة، وهذا بحث جزئي وليس بحثا تعورف عليه علمياً.

فإذاً لابد أن نضيف في التعريف ما يقودنا إلى تخصيص البحث الذي هو عمل علمي معين منجز وفق أصول فنية، فلذلك نقول: ما البحث؟ ما عناصره؟.

عناصر البحث: لدينا **باحث، وبحث، ومنهج، ومادة، وهدف،** فلا بد أن تتوفر في تعريفنا للبحث أركان البحث حتى يعطينا تعريفا دقيقا.

فمثلاً نقول: **عمل علمي ينجزه فرد أو مؤسسة في موضوع علمي ما وفق الأصول المنهجية، لإضافة**

معرفة، أو لحل مشكلة أو علاجها علاجا شموليا متسقا متكاملا وإخراجه إخراجا متسقا متكاملا ومترابطا، فهنا حاولنا بقدر ما أن ندرج هذه الأركان التي يقوم عليها البحث، فأدخلنا **الباحث** فقلنا فرد أو مؤسسة، وأدخلنا **البحث** فقلنا هو عمل علمي، وأي عمل غير علمي أخرجناه، في اختصاص ما هو **المادة المعينة وفق الأصول المنهجية** المتعارف عليها في البحث العلمي، لتحقيق غاية معينة هو **إخراج العمل بشكل مترابط ومتسق،** ويبقى كل تعريف يقدم سيكون فيه ثغرات إذا أخضع للتحليل والنظر.

أنواع البحوث:

١.**من ناحية الموضوع** قد يكون الموضوع متعلقا بالدين، وقد يكون بحث في الأمور الدنيوية، وهذا لا يعني أن الأمور الدينية لا تتطرق للأمور الدنيوية، إنما عندما نقول بحث في الدين يعني ينطلق من الدين لعلاج ما يقع في الحياة الاجتماعية، مثلاً الواقع الاجتماعي تقع واقعة الربا، البحث الديني سيبحث واقعة الربا ليبحث عن حكم الله فيها، فإذاً البحث الديني يبحث في أحكام الله في الوقائع البشرية، والبحث الدنيوي يبحث في الوقائع ذاتها، فيبحث كيف تظهر في المجتمع البشري؟ وما أسبابها؟ لماذا تظهر؟ ما الكامن منها؟ هل المرد إلى العلاقات؟ أم إلى جبلة الإنسان وأطماعه؟ فإذاً هو يبحث في هذه الظاهرة ذاتها وأسبابها كواقعة بشرية معاشة، هذا البحث الدنيوي، البحث الديني سيبحث في حكم الله، ولا يعني هذا فصل الدين عن الحياة، وإنما الدين هو الموجه وهو المهيمن على الحياة، لذلك نبحث فيه عن أحكام الله في هذه الوقائع الاجتماعية.

فعندما نقول ما هو البحث الديني؟ نضيف بعداً جديد **عمل علمي ينجزه فرد أو مؤسسة في موضوع علمي ما وفق الأصول المنهجية، لإضافة معرفة، أو لحل مشكلة أو علاجها علاجا شموليا متسقا متكاملا وإخراجه إخراجا متسقا متكاملا ومترابطا انطلاقا من كتاب الله وسنة نبيه والأصول العلمية الشرعية التي وضعها العلماء.**

لأن البحث في المجال الشرعي يخضع **أولا للنص، يحكمه سواء كتاب أو سنة.**

ثانيا القواعد التي قعدها العلماء وأصلوها أخذا من كتاب الله أو من سنة رسوله أو من فهم سلف الأمة الذين فهموا كتاب الله وسنة رسوله وأشاروا إلى القواعد التي يجب أن يراعيها الباحثون، كما اهتموا بالمقاصد وساروا وفقها في فتواهم مثلاً، أو في قواعد الشريعة التي استنبطوها من كتاب الله ومن سنة نبيه، وإن كان عملهم بها في بدايتها كانت القاعدة تكون مع الفتوى، وربما تستنبط من طريقته في الإفتاء وطريقته في النظر و طريقته في الكلام، وهؤلاء السلف التابعون تعلموها من الصحابة رضوان الله عليهم، والصحابة أخذوها من الرسول صلى الله عليه وسلم، فأصلها وإن كانت قعدت وبذل فيها الجهد العلمي، فأصلها من الوحي ومأخوذة منه لأنها تعبر منطق الشريعة، والشريعة ليست مجالا أن يدخلها الهوى في فهمها أو العبث بها، وهذه القواعد تضبط طريقة التفكير في النص

الشرعي، فلا يتدخل فيها الأهواء، وإذا أراد إنسان ما أن يفهم النص الشرعي بهواه الفردي يُكتشف ويُسقط ويُرد عليه العلماء، لأن الشريعة محمية بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبوجود النص، ثم إن الله حفظه لنا وقد تكفل بحفظه، وكان بقاءه في الأمة، وبالتالي هذه القواعد هي أيضا سبل أساسية للمحافظة على معنى النص،وكذلك هيأ هؤلاء العلماء لحفظ معاني النص من التحريف والتأويل الفاسد، مما قد يحدث خللا في الدين.

فالله حمى هذا الدين بفضله وكرمه **لفظا ومعنى**، وهيأ من يعتني بنصوصه ويحفظها ويوثقها وهيأ من يعتني بمعانيه فيستخرج من كتاب الله وسنة رسوله القواعد التي تشكل منطقا أساسيا لا يمكن أن تفهم الشريعة إلا من خلاله، ولا مجال للحرية المطلقة لفهمها على هوى الإنسان، بل رده إلى هذه النصوص، فالمقصود أن البحث الشرعي يلتزم أصول منهجية بحثية فنية ويلتزم أصولا شرعية علمية فنية مقننة وموضوعة، وهنا فرقنا بين الشرعي والدنيوي، لأن الدنيوي ينطلق من المجال الواقعي ويدرس ويحلل وينظر إليه بغض النظر عن حكم الشريعة في هذا الأمر، فالبحث الشرعي يجمع الأمرين معا، في حين أن البحث العادي أو الدنيوي يبحث في الواقع نفسه ويحاول الوصول إلى قانونه من خلال وصفه وتحليله واستقرائه، فهذا ممدوح لأنه يسدد المعرفة بواقع الناس وبحياتهم وبالكون ونحوه، وبالتالي أفلح الغربيون كثيرا في مقاربة حقيقة الأشياء وحقيقة الكون بقدر تدقيقهم وحرصهم في هذه الأمور، وبالتالي استطاعوا الاستفادة مما سخره الله في أنحاء الكون بقدر إخضاعهم لهذه الأمور ودراستهم لها وفق المناهج العلمية الصارمة، فمثلاً عندما يكتشف العلم الطبيعي ظاهرة معينة نحتاج إلى أن نحكم في كيف نستخدمها، لأن استخدامها قد يتدخل فيه الهوى فيضر البشر، مثلاً السلاح النووي موجود في الكون، فلابد من بيان حكم الله فيها، فإن كان توجيهها نحو ما ينفع البشر فدائما الدين يوجه نحو ما ينفع البشر وينهي عما يضر بالبشر، وهذه قاعدة أساسية، ويقلل المفاسد ويكثر المصالح، ولذلك نرى أن الغربيون لما يكتشفوا مثل ذلك فهم يوجهونها في نطاق الهوى في نطاق المصالح الخاصة، وبالتالي يضرون بأنفسهم ويضرون بالبشرية، ونعلم مقدار الرعب التي تعيشها البشرية من هذه الطاقة النووية.